فرية عظيمة وخطة أثيمة

الشيخ عبد الرحمن الدوسري

إن الذين يزعمون أن (الإسلام علاقة بين العبد وربه فقط) حجتهم واهية مدحوضة بل لا يستطيعون أن يبرهنوا على ما قصدوا من ذلك، ويستطيع المسلم أن يدينهم بنفي مدلول هذه الكلمة ويجعلها حجة عليهم، دامغة لرؤوسهم مرغمة لأنوفهم؛ لأن علاقة العبد بربه ليست مقصورة على نوع من العبادات دون نوع كما توهمه حملة الفكر غير الإسلامي ممن تتلمذوا على الإفرنج وأفراخهم ومن تأثر بثقافتهم فيحسبون أن عبودية الله التي يطلبها الإسلام من أهله مقصورة على صلاة وأذكار في المساجد، أو صوم يؤديه بعض الصائمين بتوجع وسوء استقبال، أو زكاة يدفعها بعض من يدفعها بلا مراعاة لجهاتها أو موقعها، أو حج يرجع منه بعض أهله أو غالبهم دون أن يشهدوا منافع لهم، أو أن يقدس البعض طرقًا أو مواليد مبتدعة. كلا ثم كلا.

إن عبودية الله التي يفرضها الدين الإسلامي على أهله تتعمق إلى جميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والحربية ومن قصر في شيء منها فهو مخل لعبودية رب العالمين. بحسب ذلك، فالصلاة التي لا يظهر أثرها على أخلاق صاحبها بطيب سلوكه وحسن سيرته وصدق معاملته لا تزده من الله إلا بعدًا؛ لأن الله قد يعفوا عن حقه لمن لم يشرك به

ولكن لا يتجاوز عن حقوق المخلوقين، فحقوق الخلق لا يـــتخلص منها الإنسان إلا بحسن أدائها وفق شرع الله أو التسامح من أهلها والتصالح معهم عن طيب نفس، وما مـــن معاملـــة علـــى وجـــه الأرض إلا والمسلم مســـئول عـــن تقـــويم اعوجاجهـــا بحســـب المستطاع، كذلك ما من فساد يظهر في البر والبحر إلا والمســـلم مطالب بإصلاح ما يقدر على إصـــلاحه منـــه ليحقـــق خيريتـــه المتوقف تحقيقها على التواصي بالحق والتواصي بالصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على البر والتقوى وإيتـــاء المال على حبه مستحقه والإحسان إلى الوالـــدين وذوي القربـــى واليتامى والمســـاكين والجـــار ذي القربـــى، والجـــار الجنـــب، والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكته الأيمان من كل شيء ، وعبودية الله توجب على صاحبها أن يعامل الناس بمثل ما يحـــب أن يعاملوه به فيلتزم النصح والصدق في الأقـــوال والأفعـــال ولا يمكر بأحد أو يخادعه، ولا تأخذه الموجدة على أحد فيَحِيكَ ضـــده المؤامرات، ولا يلتمس المستور من مساوئ الناس فيحملهم علـــى التنقيب على مساوئه ولا يشارِرْهم فيحملهم علـــى دفـــن طيباتـــه وإظهار سيئاته أو الافتراء عليه كما أصبح ذلك خلقًا للمعرضـــين عن دين الله وهديه المتلبسين بقومية تقمصت أخلاق أعداء الله من الكفرة الفجرة لابتعادهم بها عن دينها ورسالتها الصريحة اللـــذين هم مصدر عزها وسبب في سائر الميادين، ويحبذ إلـــيهم الإيثـــار ومشاطرة كل واحد منهم السراء والضراء، كما يوجـــب علـــيهم

التناصح بينهم إلى أبعد حد وأقصاه ليس بين العامة فقط؛ بل بين السيد والمسود والقائد والمقود، وقرر أن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، وأوجب عليهم السعي في طلب الرزق واكتساب المال من حله وإنفاقه في مستحقه وحرَّم على أهله الإسراف والتبذير ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١] ، ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[الإسراء: ٢٧] كما أوجب على أهله تسخير جميع ما على وجه الأرض من دابة ومادة وما في جوفها وما فوقها من الأجرام العلوية لئلا يسبقهم عدوهم إلى اكتساب الثورة المفيدة واقتناص المواد الهائلة التي تكون بيده أعظم سلاح يشهره عليهم كما جرب فعلاً بسبب إهمالهم أوامر دينهم وتعطيلهم لطاقاتهم ومواهبهم ، وجعل الدين الإسلامي كل فرد من أفراده راعيًا مسئولاً عن رعيته في كل ناحية، هذا في النواحي الاجتماعية والاقتصادية.

أما في النواحي السياسية فقد أمرهم الله في شريعته أن يأخذوا حذرهم على الإطلاق من كل ناحية وأن يعتبر كل فرد من المسلمين نفسه على ثغر من ثغور الإسلام فيحرص جاهدًا ألا يؤتى الدين من قبله وأمرهم أن يعدوا لعدوهم ما استطاعوا من قوة بجميع أنواعها واختلاف تطويرها، وناداهم بقوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦﴾ [التوبة: ٣٦] وحرضهم على مواصلة الكفاح بقوله: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ

ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[النساء: ١٠٤] ونهاهم أن يتخذوا أعداءه المخالفين لحكمه أولياء يلقون إليهم بالمودة أو أن يتخذوا منهم أولياء من دون المؤمنين- كما هي خطة القوميين في هذا الزمان- وخاطبهم بصيغة الاستفهام والتوبيخ قائلاً: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[التوبة: ١٦]وصارحهم بأبلغ النهي وأبشع التهديد بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾[المائدة: ٥١ - ٥٤] وناداهم بالتحذير عن الاطمئنان إلى من سواهم أو الميول إليه رغبة أو طمعًا فيه فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾[آل عمران: ١١٨ - ١١٩] ، وقد فضح الدين الإسلامي أحوال أعدائه بأساليب مطردة إلى يوم القيامة منها الآيتان السابقتان ومنها قوله: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن

سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التوبة: ٨ - ١٠] ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَا ﴾[آل عمران: ١٢٠] وآيات كثيرة غيرها لا نطيل في المقام وإنما نورد ذلك ليتبين للمتصبغين بصيغة الإفرنج أن السياسة في دينهم أعظم سياسة وأقواها وأنه ليس مقصورًا على الروحانيات كما خدعهم أعداؤهم بذلك، ونزيدهم أيضًا أن دينهم لا يسمح لهم بمحبة من شاق الله ورسوله أو موالاته ولو كان أقرب قريب كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة: ٢٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٣ – ٢٤]

ولهذا لما نظر اليهود وأذنابهم من النصارى في سياسة القرآن علموا أنهم لا يقدرون على تحطيم كيان المسلمين عامة والعرب خاصة وتمزيق وحدتهم ما داموا متمسكين بالقرآن أو ملتفتين إليه فأخذوا يعملون على إبعادهم منه وانشغالهم عنه ويصرفونهم عن توجيهاته وتعاليمه بما يناسب حالهم وأوقاتهم من

الإغراء بالمادة تارة والمناصب تارة والتنافس العلمـي المفضـي إلى الشقاق تارة، وانشغالهم بالتصوف والتزهد اللذين هما مـن ضروب الرهبانية تارة ليعطلوا طاقاتهم، وإغـرائهم بالشـهوات والموبقات تارة، وإضرام نيران العداوة والتناحر تارة، حتى حان الوقت المناسب لإغرائهم بمعصية الجنس التي حرمهـا الإسـلام وشدد في منعها، وأوْلَعوهم بالقوميات وأرجعوهم إلى ضروب من الوثنية الهدامة المتلونة بشتى الألوان والمتمثلـة بصـندوق مـن الطواغيت ، تمركزوا في كل ناحية وميدان في العالم ومـن لـم يتمركز احتضنه الأغرار المتمركزون فأصبحوا فـي مراكـزهم كالواجهات ينفذون ويوقعون ما ينفثه ويرقمـه أولئـك، ولتثبيـت مراكزهم وتبرير خططهم الأثيمة ركزوا فـي أدمغـة الأوغـاد والسطحيين أن الدين لا يصلح للسياسة وأنه علاقة بين العبد وربه فقط وانطلت هذه الفرية على كثير من الناس الذين نسـوا الكثيـر مما يذكرهم بالله، وساعد على ذلك جمود بعض العلمـاء وتخليـه عن واجبه وانزلاق بعضهم في فتنة الشبهات والشهوات وانصياع بعضهم إلى خدمة محترفي السياسة الماكرين بـالأمم والشـعوب فنقول لأصحاب هذه الفرية المفضوحة المكشوفة لمن له أدنى لب إذا كان الدين علاقة بين العبد وربه فقط فهل يرضى الله من عبده أن يتخلى عن الإصلاح في الأرض وتطهيرها من الظلم والفساد؟ إن المتخلي عن ذلك لم يحسن علاقته بربه وهل يرضى الله مـن عبده أن يسمح لأعدائه بافتراء الكذب عليه ويقرهم على ذلـك أو

يعينهم؟ لا شك أن هذا عبد سوء لا يرضى عنه مولاه أبدًا وهو لم يغضب له وتأخذه الحمية والانتصار لشريعة القديم. هل يرضى الله لعبده أن يعيش ذليلاً محتضرًا تُملى عليه الإرادة من كل طاغوت على وجه الأرض ويمشي أضحوكة يهزأ عليه في زيه ولحيته وصلاته؟ هل يرضى الله من عبده أن يعيش بإيمان أعزل أمام كفر وإلحاد مسلح ويترك أعداء مولاه يعبثون في ماديات الحياة ويلعبون بمقدرات الأمم والشعوب بمكرهم السياسي وطغيانهم الوحشي؟ وهل يرضى الله لعبده أن يوالي أعداءه ويحبهم ويخضع لهم ليتحكموا فيه وفي مصير العالم أجمع؟ إذن ما فائدة هذه العلاقة التي لا يجوز أن تسمى علاقة؟ إن علاقة المحب لمحبوبه والعبد بمربوبه لا تسمح بشيء من هذا أبدًا؛ بل توجب عليه أن يقيم وجهه للدين حنيفًا ويشهر سيفه أمام الباطل ويعد العدة لإحقاق الحق ورفع مناره وإصلاح الأرض وتطهيرها من كل كفر وظلم وفساد ليحقق عبوديته لربه ويصدق علاقته به، وإلا فما معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣]

إن الذين يحصرون (الدين) بأنه علاقة بين المرء وربه ويفسرون ذلك بما يحصر مدلوله في أضيق نطاق لا يرضون بتطبيق هذا المدلول على أنفسهم ويصرخون عند أدنى حاجة بما يناقض زعمهم كما تراهم أيها القارئ الكريم يلجئون إلى الإسلام

ويستدلون به على خصمهم المسلم عند التشاجر تمويهًا على عميان البصائر لخداع العامة بذكر شيء من حكم الإسلام كي يستعذبوا الخطط الأخرى بمجرد ذكر واضعها لاسم (الدين) أو (رسالة السماء) وواضعها لا يريد الإسلام ولا يستسيغه إلا عندما يريد إفحام الخصم وخداع الجماهير التي لا عقل لها وتوجيهها إلى ما وضعه من خطط.

فلنتساءل مع القراء الكرام عند هذه الأكذوبة والفرية العظيمة على الله ورسوله فنقول أولاً: هل يرضى رئيس دولة من الدول التي قررت هذه الفرية مبدءًا لها يقتصر رعاياه وموظفوه في ارتباطهم بحكمه على مجرد احترام اسمه والثناء عليه والانحناء أمامه دون أن يتقيدوا بأوامره وتشريعاته كلها أو يقبلوا منها القليل الذي يوافي أذواقهم ويرفضوا الكثير ويتمردوا عليه بحجة ما أو يجلبوا نظم وتشريعات دولة معادية له فيحتكموا إليها زاعمين أن أوامره وتشريعاته لا تنافيها؟ هل يعتبرهم في هذه الحالة قائمين بواجبهم مخلصين في خدمة وظائفهم أم أنه يعتبر من سلك هذا المسلك خائنًا عميلاً لغيره ذَنَبًا فلان وفلان؟ لا شك أنه يعتبر من لم يلتزم بنظمه وينفذ تشريعاته خائنًا وصفه بكل وصف ذميم ويرميه بكل تهمة ويقصيه عن عمله ويقدمه للمحاكمة ثم ينزل به أقصى العقوبات الصارمة – كما جرى لمن يعمل معشار ذلك من التمرد والاعتراض، وعلى هذا فقد جعلوا لأنفسهم منزلة أعظم من منزلة رب العالمين فهم بهذه العظمة والخطة

الأثيمة انتقصوا الله ورسوله انتقاصًا لم يسبقهم عليه أي كافر في غابر القرون قامت عليه حجة الله، حصروا علاقة المسلم بربه في المسجد ونحوه وأوجبوا عليه الانقياد لهم في كل ميدان والاستسلام لهم في كل ناحية من نواحي الحياة وأوجبوا على الإنسان تأليههم من دون الله بهذا العمل الذي يحتوي على جميع معاني التوحيد، وجعلوا حدود الوطن ومحبة الجنس وما (ص١١) يتصل بهما من شعارات وطقوس فوق حدود الله وأعلى من محبته فهم أشر بكثير من أهل الجاهلية الذين أخذنا الله عنهم أنهم ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦﴾ [الأنعام: ١٣٦] فخطتهم هذه أعظم انتقاص لله واتهام له في حكمته وامتهانه بعزته وإلا فكيف يجعلون لله جزءًا من الانقياد وهم لا يرضون إلا بالجميع؟ كيف يعملون بكل جد ودهاء لإغراء الناس على التمرد على حكم الله وشريعته ويشرعون له ما يوافق أذواقهم ومصالحهم بينما هم لا يسمحون لأحد بالإخلال فيما شرعوه أو معارضتهم فيما وصفوه؟ هذا هو عين المحادة لله ولرسوله وهو في افترائهم على الله بالكذب بل ازدادوا افتراء على الله بقولهم خداعًا للعوام والمطبوعين (إرادة الشعب من إرادة الله) إذ بتقريرهم هذه الفرية يكون للشعب أن يفعل ما شاء ويتصرف في تخطيط حياتة تصرف من ليس موقنًا بشريعة الرب الذي أرسل رسلاً وأنزل كتبًا بل يبنى تصرفاته في

الحياة وفق ما يهواه وعلى أساس المادة والقوة كالشعوب الكـافرة التي لا تدين بدين يقبله الله ولا ترعـى خلقًا ولا فضـيلة، فقـد تجرؤوا على الله بهذه الكلمة التي جعلوها قاعدة، تجرؤوا بها على الله جراءة لم يسبق لها مثل فـي أي دور مـن أدوار الجاهليـة المختلفة وفي أي محيط من الكفر البواح؛ لأن غاية ما قضـى الله علينا من شأن الكفر المتعلق بالمشيئة يقولـه: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾[النحل: ٣٥] فـرد الله عليهم إفكهم وضلالهم وتعلقهم بالمشـيئة التـي تعلـق بهـا أول الكافرين ورئيس الكفر إبليس.

أما هؤلاء فقد جعلوا لأنفسهم إرادة الأمر زاعمين أنها مـن إرادة الله وحاشا لأبي جهل ومن على شاكلته مع خبثه وعناده في الكفر أن يصل إلى هذا الحد في الجرأة علـى الله، فهـذا شـيء معروف قبحه وضـلاله ببداهـة العقـول لأن أذواق الشـعوب ونزعاتها تختلف ، فإذا جعلت إرادة الشعب من إرادة الله جـاءت نزعات الوجودية والشيوعية الإباحية الإلحاديـة بـل ونزعـات الصهيونية والنازية والفاشية وشريعة الغاب وغيرها من إرادة الله التي أمر بها، وصار كل ما تهواه النفوس الشـريرة مـن بطـش وفتك هو من أمر الله، وما يعشقه مرضى القلـوب مـن التفسـخ والانحلال ومعاقرة الخمر ودغدغة وإشباع الشهوات من أمـر الله على هذه القاعدة الخبيثة، فعلامَ ينتقدوا أفعال غيـرهم (ص١٢) ويصيروا عليهم إذا كانت إرادة الإنسان ورغباته من إرادة الله في

حكمه الذي يرتضيه ؟ وإذا كانت إرادة الشعب من إرادة الله التي يرضاها فلأي شيء يرسل الرسل وينزل الكتب ويشرع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويوجب على أتباع الرسل إقامة الجهاد ويشدد الأمر على الأمة في إقامة حدوده وعدم (ص١٢)تخفيها؟ وصدق الله العظيم قوله: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢] وأي ضلال أعظم من هذا وأي افتراء أعظم من هذا الافتراء فقد جاوزوا في فريتهم قول من قال: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣] ولكن الكفر يجر بعضه بعضًا، والاسترسال في المخالفات يجر إلى تكذيب آيات الله والاستهزاء بها كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الروم: ١٠] وإذا كان الله ينص في محكم كتابه فماذا بعد الحق إلا الضلال (بصيغة الحصر) فلا يستبعد أيها المسلم (ص١٢)حكمًا أجروه من ضلال ووقاحة فهم يتخبطون في الضلال بجميع أنواعه في كل ميدان ويجرؤون على افتراء الكذب والتضليل زاعمين التقدم في ذلك والرقي والحضارة قائمين بإغراء الناس على تعدي حدود الله بكل إغراء وأي إغراء أشد وأفحش من جعل إرادة الشعب من إرادة الله ، ولكن لا يطبقون هذه الفرية الشنيعة على أنفسهم إذ لم يسمحوا لها بغزو الشعوب التي تختار لها حكمًا لا يتناسب مع أطماعهم وأغراضهم فيغزونها بالقوة والعنف وإنزال (ص١٢)المظليين عليهم وقذفهم بالقنابل المحرقة المدمرة التي تجعل أراضيهم لا تصلح للزراعة إلا بعد

عشرات السنين، فإذا كانت إرادة الشعوب من إرادة الله فلم يغزوهم ويقصفوهم بكل محرق ومدمر؟ أم يعتبرون الشعب الذي يحكمونه هم بالحديد والنار هو الشعب الذي إرادته ألوهية من إرادة الله؟ ومن العجيب أن الذين افتروا هذه الفرية وقالوا (إن إرادة الشعب من إرادة الله) ليس لشعبهم أي إرادة يستقل بها ويختارها لحياته وإنما هو مكبوت الفكر مكموم الأفواه مكسور العزيمة لا يقول ولا يعمل إلا ما يملى عليه من إرادة المتسلط عليه في كل شيء، فقد جمعوا بين المتناقضات في أقوالهم وأفعالهم بفصل الدين عن السياسة وإن افتروا تحت هذه القاعدة ما افتروه من أكاذيب لخداع الناس والسيطرة على جميع (ص١٣)مراقهم فقد أعادوا الحكم القيصري والكسروي لأنهم ما فصلوا الدين عن السياسة وأقصوه عن الحكم فأصبحت السياسة كجمل هائج (حبله على غاربه) أو كنمر مسعور لا يعرف غير القوة وقضم الضعيف فكان بذلك في كل شعب وأمة قيصر وحده له الحول والصول على الرغم من أنه يسمى رئيس دولة أو رئيس مجلس أو وزير دولة وما إلى ذلك من مصطلحات الأسماء التي لا نرى تحتها من المعاني سوى استبداد الفرد بأكبر مجموعة يجعل له التحكم في أمورها وتسييرها وفيما يهواه بالحديد والنار وليس لها من أمرها سوى الخداع باسم الشعب الذي يمتنع عليه تحصيل أدنى شيء ويؤخذ باسمه كل شيء من ذلك وتعمل باسمه القطائع دون أن يكون في يديه أو تحت علمه شيء من ذلك ،

فليس الحكم القيصري أو الكسروي فعلاً مقصورًا على أشخاص ممن يسمون أمراء أو سلاطنة ونحو ذلك وإنما العبرة بالمعاني لا بالأسماء، فالجمهوريات اليوم مجرد نغمة لإلهاء الشعوب التي دب فيها الوعي الخاطئ التي لا تميز به بين من يعمل لحياتها وصالحها حقًا ومن يلعب علي (ص١٣) إذقاتها ويسيرها إلى الهاوية في كل ميدان. وها هو يعمل في البلاد المسماة (جمهورية) من الفظائع وغمط الحقوق ما لا يقدر على فعله أو يترفع عنه أي حاكم على اختلاف مسمياتهم. وهذا النوع من الحكم بأي لقب ظهر وبأي طلاء سبغ نجد فيه الظلم متشعبًا في كل ناحية والفساد موزعًا بكل فتنة وإغراء إلى كل مكان حتى يدخل إلى كل بيت باسم التقدم والتطوير والحضارة والمدنية وما إلى ذلك من المصطلحات التي يبنى تحت شعاراتها الفساد والإلحاد فالملوك الذين أخبرنا الله عنهم في القرآن قد يكونون أهون مما يسمى بالجمهوريات اليوم التي أغلبها يلعب على الشعوب باسم الشعوب ويفتك بالشعوب بحجة حمايتها ويمتص دماءها بأبشع طرق الاستغلال الجماعي باسم محاربة الاستغلال الفردي أو الطبقي وما إلى ذلك، ويقيمون المجازر باسم الشعب وتنصب المحاكم العسكرية المروعة الأثيمة باسم الشعب وتعقد الصفقات السياسية والاقتصادية مع الأجنبي بألوان جديدة من أسماء مصلحة الشعب والشعب لا يعلم عنها إلا في الأخبار

العابرة ولا يملك سوى التصفيق والهتاف لمن فرض سلطته عليه قهرًا.

فشقاوة العالم بنظام المزدكية المصبوغ بطلاء الاشتراكية الكاذب أعظم من شقاوته بأنانية الرأسمالية المصبوغ بطلاء الديمقراطية الذي يصطبغ به أولئك أيضا، كما أن شقوته بمفاسد الأخلاق والانحلال والتهتك في عصر الجمهوريات الكاذب أعظم مما يسمع بحلوله في مرابع الحكام قبلها مما هو قابع فيها ولم ينتشر وكل حل ويحل بالعالم من بؤس وخسارة وإزعاج إنما هو سبب فصل الدين عن الدولة وجعل مصير الناس وأزمة أمورهم بأيدي دجاجلة وطواغيت تفرض وجوههم ظروف متنوعة ويظهرون على الناس بألقاب ومذاهب شتى ظاهرها الرحمة والإشراق وباطنها أظلم من باطن جنكيز خان، وأكثر ما يروجون به باطنهم أن الدين هو فقط علاقة بين العبد وربه لا شأن له في السياسة وتقلبات أحوال العصر وهي نظرة فرنسية روَّجها الثائرون على الكنيسة المتزمِّتة ولها أصل بالعصر القديم فهي رجعية أيضًا يتشدق بها المغرضون لنشر سلطانهم دون ما قيد أو حساب. ولو قام المسلمون بالتواصي بالحق والأمر بالمعروف والتعاون على البر والتقوى، وأخذوا كتابهم بقوة واستعملوا أفكارهم واستغلوا طاقتهم بتسخير ما على وجه الأرض وما في جوفها وأجوائها من دابة ومادة متوكلين على الله في ذلك لقمع المفتري على الله والسعي لإعلاء كلمته في الأرض لما تشبثت هذه البدعة ولا

غيرها من قبل ولما قام للمبطلين قائمة ولا سلطان ولكن هذا من تفريطهم في جنب الله وأن ينيبوا إلى الله ربهم من جديد ويلتزموا أحكامه وحدوده ويدفعوا الباطل بسيوف الوحي الدامغة يمدهم الله بنصر من عنده، فقد ضمن بهم النصر والنجاة والتمكين قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ الروم: ٤٧ ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس: ١٠٣].